بهرا الضياء
Bahra No 485. Sun. 3 May 2009
العدد ٤٨٥ -الاحد ٣ آيار ٢٠٠٩م -٦٧٥٩ آ

الاب البير ابونا في ضيافة بهرا:

"أتمنى أنْ تسود اللغة السريانية ثقافتنا،وأنْ يأخذ ذو الاختصاص والناس المؤهلون الامور بجدية لتدريس هذه اللغة العريقة"

حاورته: نينويتا ايشايا

وقفت مذعورة امام هذا الصرح العملاق كيف سأحاوره وانا لا املك الا القليل عنه لكنه بأدبه واخلاقه وسكينته ساعدني للدخول في الحوار.

العلاّمة يوسف المدعو البير، ولد سنة ١٩٢٨ في بلدة فيشخابور الواقعة على الضفة اليسرى من نهر دجلة عند الحدود السوريةقرب قضاء زاخو شمالي العراق

– كيف تلقيت تعليمك والظروف آنذاك كانت شبه مستحيلة وصعبة؟

• تعلمت في قريتي الابتدائية ثم في زاخو.و في تشرين الاول ١٩٤٠ دخلت معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل وامضيت فيه احدى عشرة سنة. درست في السنوات الخمس الاولى اللغات العربية والسريانية والفرنسية واللاتينية، وفي السنوات الست الاخيرة درست الفلسفة واللاهوت والكتاب المقدس وغيرها من العلوم.

– متى رسمت كاهنا وما هي القرى والمدن التي خدمت فيها؟

• رسمت كاهنا في الموصل في السابع عشر من حزيران عام واحد وخمسين وتسعمئة والف. مارست رسالتي الكهنوتية في قرى ابرشية زاخو في ١٩٥١ الى ١٩٥٥. في سنة ١٩٥٥ استدعيت الى الموصل للتدريس في معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي وتخصصت باللغة الارامية وآدابها وبالتاريخ الكنسي الشرقي.

درّست اللغة الفرنسية سنتين في جامعة الموصل في ١٩٧٣ ثم نقلت الى بغداد للخدمة الكهنوتية. والقيت محاضرات في اللغة الارامية وآدابها في جامعة بغداد/ كلية الاداب قسم الدراسات الشرقية. وقمت بتدريس اللغة الارامية مدة طويلة ووضعت كتبا ومقالات عديدة فيها فضلا عن كتب اخرى وضعتها او نقلتها من الفرنسية او السريانية الى اللغة العربية منذ ستينات القرن الماضي.

–متى بدات الكتابة والترجمة؟

*انا اتأسف كثيرا اذ تأخرت الكتابة حيث لم اكتب خلال عملي الكهنوتي الاولي لكن في معهد مار يوحنا بدأت الترجمة وكان اول كراس ألفته كان "نشأة الكنيسة" بالفرنسية ولم اوفق فيه لكني كررت المحاولة ونجحت رغم كل الانتقادات.

– لماذا اللغة الفرنسية طاغية على ثقافتك؟

• بين تأليف وترجمة ثمانين كتابا من الفرنسية والسريانية والعربية وبالعكس. في معهد مار يوحنا الحبيب اللغة الفرنسية هي الرئيسة كانت العلوم كلها بنفس اللغة، لذلك تأثرت بها.

– خلال العام الواحد كم كتابا تترجم؟

• اترجم اربعة الى خمسة كتب مع العلم كانت الرقابة صارمة في السابق. واتذكر عند ترجمتي لكتاب "الرهاوي المجهول" هذا الكتاب النفيس يحكي عن الفترة العباسية وهو في جزأين ولكن عند ترجمته اغلقت المطبعة واوقف طبعه، وحجة المسؤولين آنذاك كانت بأنه يوجد في الكتاب كلمة بين النهرين. فاستدعيت الى الامن العامة وقالوا لي يجب ان تمسح هذه الكلمة.فأجبت مسؤول الامن العامة، لم اخترعها انا ولم تخترعها انت. هذا شيء موضوعي وجغرافي وكلمة بين النهرين تدل على العراق. والكتاب يجب ان يطبع لخير العراق. اصريت على موقفي فوافق وطبع الكتاب كما هو دون حذف اية كلمة منه. هذه الحالة تكررت عدة مرات، لكني تجاوزتها. وطبعت كتبي ومنشوراتي. اما الآن فنكتب وننشر بحرية تامة. وحاليا لي ثلاثة كتب تحت الطبع وستظهر للنور قريبا.

– اين هو الان البير ابونا وماذا يعمل؟ وهل لي بالاطلاع على مكتبتك الزاخرة؟

• حاليا انا في كركوك، متقاعد، وتحت المراقبة الطبية اكتب مقالات، لاني رئيس تحرير مجلة بين النهرين، اكرز واعمل قداديس في كاتدرائية قلب يسوع، مكتبتي اهديتها الى كاتدرائية قلب يسوع يمكنك ان تتطلعي عليها هناك.

– امنيتك وكلمتك الاخيرة؟

• اتمنى ان تسود اللغة السريانية ثقافتنا، واتمنى على ذوي الاختصاص والناس المؤهلين اخذ الامور بجدية لتدريس هذه اللغة العريقة بدءا من الاطفال وبشكل عميق وليس سطحيا حيث لدينا مئات المخطوطات بحاجة الى نشر ودراسة وترجمة.

كتاباته:

سلسلة الفكر المسيحي.

سلسلة كلام الله "ترجمة في الفرنسية"

متفرقات:

الاراميون "ترجمة من الفرنسية"

سعادتي في الايمان ترجمة

تاريخ الرهاوي المجهول "ترجمة من السريانية الى الفرنسية"

اللائحة التي تحت يدي تحمل رقم "٧٤" كتاباً بين كتابة وترجمة فضلا عن المقالات العديدة ومقدمات الكتب ومراجعة الاطروحات وغيرها.

التأليف المسرحي يعود للواجهة مع الكاتب فاضل محمد عبد اللّه

نصوص مسرحية تدعو لنصرة التاريخ وتغليب النزعة التربوية وتأكيدها

حاوره / سامر الياس سعيد

يعكف الكاتب المسرحي فاضل محمد عبد الله على وضع اللمسات الأخيرة على كتابه الجديد والمعنون "من مسرحياتي" والذي يضم مابين دفتيه عشرة نصوص مسرحية تتنوع ما بين المسرحية التاريخية والتراثية والتربوية حيث يصنف هذه المسرحيات في محاور شتى يبدؤها بالجانب التاريخي والذي يضم مسرحيات عن شخصيات إسلامية منها "مصعب بن عمير" والحدث المتمثل بالهجرة الى الحبشة ونص مسرحي معنون بـ "ساعة انس مع المعتصم" حيث يتناول فيها الكاتب الإحداث التي رافقت عهد المعتصم والمناظرات الثقافية التي كان تحدث في ديوانه خاصة تلك التي يطلقها الشاعر المعروف أبي تمام كما ان الموصل وإحداثها التاريخية لاتغيب عن تلك النصوص المسرحية فنجد ان بعضها قد تصدى لحقبة من ولاية نور الدين محمود باني الجامع النوري المعروف بالجامع الكبير او الحدباء كما يتفق اغلب الموصليين على تسميته نظرا لميلان منارته المشهورة والتي أضحت من ابرز المعالم التراثية التي تضمها المدينة كما يلتزم الكاتب خطا تربويا في إطلاق أنماط أخرى من المسرحيات فنجد أيضا مسرحية "صبغة تاريخية " و"اللص والأمير" كما تعتمد مسرحية "الأب الثاني" على الدور الكبير الذي يضطلع به "المعلم" وتأثير هذه الشخصية على صقل موهبة الطالب كما ان مسرحية "اللعبة القبيحة" تدور في فلك تربوي اجتماعي يحث على الالتزام بالأخلاق والانصياع للأعراف المعتمدة في المجتمع لما يمتاز به من خصائل حميدة ومميزة كما تنطلق مسرحية "طريق للرجولة" النمط الأخلاقي المتميز مع الالتزام بالعرف التربوي ونصائح الجيل الرائد..

–هنالك مسرحيات ذات صبغة تاريخية فكيف حافظت على تقليدية تلك الأصول وابتعادها عن التباين الذي يحدثه اختلاف وجهات النظر في تلك الأصول؟

• راجعت الكثير من الكتب التاريخية وهذه المراجعة الكثيفة أنضجت تصورا مهما حول تلك الشخصيات بالرغم من ان هنالك العديد من وجهات النظر المختلفة بشأنها لكني نجحت نوعا ما في ان انقل هذه الشخصية كما بدت وكما ذكرت في اغلب الأصول التاريخية كما أثمرت قراءاتي المتعددة في الجانب النفسي للارتقاء بالشخصيات التي أنتجتها تلك المؤلفات المسرحية ومنها ما رصدته عبر حقبة غنية بالكثير من الشخصيات التي قابلتها إثناء خدمتي في المجال التعليمي وعبر زمن يربو على أكثر من ٣٣ عاما..

– وهل ترجمت هذه النصوص المسرحية الى أعمال نفذت على مسارح المدينة؟

•بالطبع جسدت اغلب هذه المسرحيات وقد عرضت اغلبها على مسارح مدينة الموصل خصوصا في حقبة السبعينيات المعروفة بثرائها الفني والثقافي والذي انعكس بالإيجاب على الحركة الأدبية في عموم العراق واذكر من تلك النصوص من ترجم لعمل مسرحي ومنها "تاجر من المدينة" التي قدمت على خشبة مسرح الإعدادية الشرقية في عام ٧٦ حيث شارك بالتمثيل العديد من الشخصيات التي أصبح لها شان فني في تالي الأيام ومنهم الفنان موفق الطائي وحكمت الكلو كما سجل المسرحية وعرضها فيما بعد تلفزيون الموصل..

– وما الذي يعيق فن التأليف المسرحي لينطلق الى مديات أوسع وأفضل برأيك؟

• أمنيتي في هذا المجال ان تتبنى المؤسسات الثقافية الكتاب المتخصصين بالتأليف المسرحي والاهتمام بهم كما أناشد القائمين على المسرح التربوي ان يولوا أهمية كبرى بهذا المنجز نظرا لأهميته وفي هذا الخصوص تحضرني مقولة لزعيم الصين السابق وملهما ماو تسي تونغ حين اشتهر بعبارة مفادها "علينا ان نبني مقابل كل مدرسة مسرحا" ويقصد بذلك المسرح التربوي وأتمنى أيضا ان تقام مهرجانات ومسابقات تحيي فن التأليف المسرحي وان لا يقتصر الاحتفاء بيوم المسرح العالمي على الاحتفال بالعروض المسرحية فقط..

– وهل تذكر المخرجين الذين جسدوا مؤلفاتك المسرحية الى أعمال؟

• بالنسبة لمسرحية "ربعة الأيام السود" والتي قدمت مطلع سبعينيات القرن المنصرم فاذكر ان مخرجها هو عز الدين ذنون وقدمت هذه المسرحية على قاعة مسرح الربيع كما اخرج لي هذا المخرج مسرحيات أخرى منها "الأب الثاني" حيث قدمت هذه المسرحية على قاعة مسرح الإعدادية الشرقية واذكر أيضا الرائد المسرحي علي أحسان الجراح الذي اخرج لي مسرحيتين عرضت على قاعات المدارس الإعدادية بالموصل كما اخرج لي الفنان عصام عبد الرحمن مسرحية تاريخية عنوانها "عمر بن عبد العزيز" وتم عرضها على شاشة تلفزيون الموصل في السبعينيات أيضا..

– أراك تكرر فترة السبعينات في حديثك مرارا فهل تعد هذه الفترة فترة مهمة في تاريخ المسرح الموصلي؟

• ليس على مستوى المسرح فحسب بل على عموم الثقافة الموصلية ومداراتها ومن معطيات تلك الفترة الأسماء الكبيرة التي أنجبتها في محاور القصة والرواية والشعر كما أفرزت تلك الحقبة نتائج ايجابية منها التعايش المستمر مع عجلة الأدب العربي خلافا مع الابتعاد الذي يعانيه أدباؤنا في التواصل والتعايش مع الحركة الأدبية بالرغم من بروز التقنية الحديثة كالانترنت..

– وما الذي أوقف هذا الازدهار ومنحه انحسارا انعكس بالسلب على عموم التواصل مع حركة المسرح؟

• فترة الحرب التي اندلعت مباشرة بعد السبعينات لها مسؤولية مباشرة في ابتعاد التوجه الى المسرح وما تلا تلك الفترة من حاجة الى مسرح هزلي يفتح مسامات للانطلاق في أجواء كوميدية بعيدا عن قبضة الحرب القاسية فنما في تلك الفترة مسرح سمي بالمسرح التجاري ولكنه انحرف عن جادة المسرح الحقيقي باعتماده كلمات بذيئة لاتتناسب مع قدسية المسرح وسموه..

– وبرأيك ما الحلول التي من الممكن ان يلتزم بها المسرحيون لإعادة عهد المسرح الزاهي؟

• أعود لأنادي بضرورة المسرح التربوي فضرورته تؤدي الى حقيقة مهمة تترجمها عبارة التعلم في الصغر كالنقش في الحجر واغلب مسرحياتي تنهل من فلك التربية والتعليم.

العود.. سلطان العطر والبخور

بهرا-وكالات

العلاقة بين التطيّب والإنسان علاقة حميمة عتيقة منذ زمن طويل ظلت قوية ومتألقة على مدى آلاف السنين، وكان العود هو الملك المتوّج الذي ظل يتربع على عرش التطيب والبخور على مر العصور، وحتى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله.

ترى ما هي أشجار العود؟ وكيف تتكون مادة العود؟ وما هي أسرارها وخفاياها؟ محمد غيلان الدبعي أحد الاختصاصيين في تجارة العود، يقول: العود هو الاسم العربي، وله أسماء أخرى: هندية، كمبودية، بنغالية، إيرانية وصينية. وهو عبارة عن شجرة دائمة الاخضرار يصل ارتفاعها إلى نحو ٢٠ مترا، ويتراوح عُمرها ما بين ٧٠ - ١٥٠ عاما، تنمو في الغابات الاستوائية وشبه الاستوائية في قارة آسيا.

وتابع قائلا: تتواجد في الهند وكمبوديا وإندونيسيا وماليزيا وفيتنام، وتتركز زراعتها في الأراضي الجبلية غير العالية والسفوح المنخفضة ذات الأتربة الرملية.

ويتحدث الدبعي عن تكون العود بقوله: يتكون بفعل التغيّر في ساق الشجرة الاسطواني الشكل والأملس، وخاصة في المنطقة القريبة من الجذر أو التربة، إذ تصاب هذه المنطقة بأنواع من الفطريات تبدأ في الجزء الأسفل، وتبدأ بالانتشار تصاعديا داخل ساق الشجرة التي تفرز بدورها مادة تتفاعل مع الفطريات وتؤدي إلى تحول خشب الساق الأبيض الرقيق إلى خشب داكن اللون، ما بين البني والأسود، فيكتسب دهونا وزيوتا طيّارة تصدر رائحة عطرية زكية تسمى "العود"، الذي تزداد جودته كلما زادت كميّات الفطريات فيه.

وفي رده على سؤال حول انقراض شجرة العود بفعل القطع والاستهلاك غير المقنن، قال الدبعي: هذا صحيح إلى حد ما، والحقيقة التي لا يعرفها أكثر الناس أن أشجار العود لا تصاب جميعها بالفطريات لكي تنتج مادة العود، ولكن يصاب منها فقط ٢٥ بالمائة. ولهذا كاد العود أن ينقرض لولا تدارك القائمين على هذا المنتوج، وقيامهم بإجراء عمليات أشبه بالتهجين أو التطعيم بدلا من الانتظار سنوات طويلة، حيث يضعون هذا النوع من الفطريات التي يأخذونها من الأشجار المصابة داخل سيقان النوعية نفسها من الأشجار غير المصابة بعد جرح ساق النبات جرحا عميقا وتشكيل أنفاق وممرات فيه لتسهيل نمو الفطريات وانتشارها وتفاعلها مع المواد التي تفرزها الشجرة بصورة طبيعية.

عملية الاستخراج

ويتابع خبير العود والبخور حديثه عن عملية استخراج العود قائلا: هذه العملية تسمى الحصاد والتقطيع، وتتم عادة في فصل الشتاء أو موسم الجفاف، وذلك بانتزاع أشجار العود بفصل أسفل الساق عن الجذور بواسطة عمّال مهرة، وقطع الأجزاء المصابة فقط، لأن الشجرة لا تصاب كلها بالفطريات، ثم يقومون بتنظيف وعزل الأجزاء المصابة عن غيرها وتخليصها من المواد الخشبية العالقة بصورة دقيقة ومتأنية، وتقطع باستخدام معدات نحت. بعد ذلك تبدأ عملية التلميع باستخدام آلات تشبه "المبرد" غير الحاد، ثم تقطع هذه الأجزاء إلى شرائح، حسب الطلب، بآلة تسمى "المدق"، بحيث لا ترمى النفايات الناجمة عن عملية التقطيع والدق بل يتم الاحتفاظ بها لتستخدم في صنع "دهن العود".

وعن عملية الفرز قال إنه يجري تنفيذها بواسطة خبراء في هذا المجال، يقومون بفرز العود حسب معياري اللون والوزن، وتصنيفه إلى عدة أصناف:

أولا : العود "دبل سوبر" ويعتبر أثمن الأصناف وأغلاها، حيث يمكن أن يصل سعر الجرام الواحد عندنا هنا في اليمن إلى أكثر من ستة آلاف ريال، ويتميّز بلون أسود داكن وثقيل الوزن وصلب نوعا ما، وله رائحة نفاذة قوية.

ثانيا: العود "سوبر" يكون أقل دكونة وأقل وزنا وسعرا من الأول.

ثالثا: العود "المتوسط) لونه بني فاتح، ويعتبر أقل وزنا من سابقيه.

رابعا: العود (العادي" ويكون لونه بنيا مائلا إلى الصفرة، وهو الأدنى سعرا.

خامسا: العود "الدقّة" وهو ناتج عن تكسر وتقطيع خشب العود وعملية الاستخراج، ويعتبر خليطا من كل الأصناف، وتكون أسعاره أحيانا متوسطة. وماذا عن استخراج دهن العود؟ هذه العملية غالية التكاليف جدا، جدا، وبما أن عملية تقطير خشب العود الممتاز عالي الجودة مكلفة جدا، فإن سعر الدهن من الطبيعي أن يكون سعرا خياليا. لذا ما يتم تقطيره في الغالب خشب العود الأقل جودة والناتج عن أعمال تنظيف الأجزاء المصابة والمخلوطة مع الأجزاء الأدنى جودة.

ويقطر بداية بقطع خشب العود إلى قطع صغيرة جدا، أو يطحن، ويحول إلى مسحوق، ثم توضع القطع الصغيرة أو المسحوق في المياه لفترة تتراوح ما بين ١٥-٣٠ يوما، حتى تحدث عملية التخمّر التي تساعد على تحويل جزء منه إلى مادة شمعية. بعد ذلك يوضع المنقوع في "قدور" تقطير تختلف سعتها حسب الحاجة، وقد تحتوي كمية من ١٠- ٣٠٠ كيلوجرام، ثم يتعرض للنار "نار الحطب" التي تتميز بقوة لهيبها وبطء احتراقها لمدة لا تقل عن ٦٠ يوما، إلى أن يتغيّر لون العود نفسه ويصبح سائلا لزجا، يتم بعدها التقطير عبر أنبوب التقطير، فيجمع الدهن المتواجد على سطح الماء في وعاء الجمع عند طرف أنبوب التكثيف، ثم يجمع الدهن باليد، وذلك بوضع الكف في الوعاء ليعلق الدهن بها، ويتم حكه بالجفنة "وعاء بيضاوي مفتوح" ليسيل إلى داخلها، وفي المرحلة النهائية يوضع الدهن المتجمّع في إناء غير مغطى لفترة لا تقل عن ٣٠ يوما مع تعريضه لأشعة الشمس ليتبخر ما علق به من ماء، وبذلك يستخلص دهن العود الصافي، إنهاء عملية معقدة وغالية الثمن.

قصر العود
نور شرقية

معمول البخور وعيدان "الند"

–هل معمول البخور وند البخور الموجود في الأسواق هو من العود؟

• نعم، ولكن دعني أشرح لك كيف: عند ما تتم عملية استخراج الدهن تنتج عنها مادة متخلفة أو بقايا تسمى "العود المدقوق"، رائحتها غير نفّاذة، وتعتبر أردأ الأنواع، لكن يمكن إضافة قليل من السكر المذاب إليها مع بعض العطور لإنتاج "معمول البخور"، أو تضاف إليها بعض الروائح العطرية والأصباغ لتصنيع عيدان "الند"، التي تباع في أسواقنا اليمنية بأشكال مختلفة. وعن الفوائد الأخرى للبخور يقول: بحسب ما أعرفه، أن الخشب الأبيض الخفيف غير المصاب بالفطريات لا يرمى ولكنه يستخدم في صناعات أخرى كالمسبح "جمع مسبحة"، وأقلام الرصاص، بينما يدخل منقوعه في بعض العلاجات العشبية كعلاج الديدان والنقرس والروماتيزم ومقو عام، أما دخانه فيستعمل كطارد للحشرات، مثل: البعوض، وما شابه.

– كيف نعرف أن العود مغشوش؟

• أساليب كثيرة للغش. منها صبغ العود الرديء والأقل جودة بلون قريب من اللون الأصلي ووضعه على الجمر حتى تطلع منه فقاعات شبيهة بالأصلي. ومن الغش أيضا: خلط نوعيات رديئة بأصلية أو إضافة زيت القطن إلى دهن العود الأصلي لتزيد كميته، وغيرها من الأساليب. أما كيف نعرف المغشوش: فهذا صعب بالنسبة لعامة الناس، لكن بالنسبة للمشتغلين المتخصصين في مجال العطور يتم اكتشافه من خلال رائحته ومذاقه، ولنتذكر في كل معاملاتنا التجارية قول الرسول الكريم "من غشنا ليس منا".

– هل يمكن زراعة أشجار العود في اليمن؟

• في الحقيقة لا، لأن ظروف نمو هذا النبات غير متوفرة في اليمن. فلا بُد أن تتوفر لهذه الشجرة بيئة موائمة وخاصة جدا، ودرجة حرارة ورطوبة معيّنة، وظروف أخرى عديدة مساعدة ليست متوفرة، إلا حيث شاء الخالق أن تكون.

هكذا، تبقى الأشجار المنتجة للعود ومستخلصاته سرا من أسرار الكون البديع الذي يقف المرء أمامه طويلا يتأمل إعجاز الخالق في كيفية صنعه ونشأته ومراحل تكوينه.